النقد الإجتماعي في الأدب العربي البرناوي: دراسة لكتاب "ذكر ما فشى وشاع"، للشيخ عبد السلام البرناوي

Social Criticism in Borno Arabic Literature: A Critical Study of Shaykh ʿAbdussalām al-Barnāwī's *Dhikr Mā Fashā wa Shāʿa*

By
Mustapha Muhammad Ali
&
Malik Muhammad Suwar
Department of Islamic Studies
Kashim Ibrahim University, Maiduguri

Abstract

This versified type of poetry addresses the widespread and prevalent conditions of the people of this area. It offers a social critique of a range of negative phenomena and customs prevalent in society, such as preoccupation with forbidden things, boasting about wealth and lineage, pointless debates on religious matters, the corruption of scholars and community leaders, and a lack of respect for religious figures. The poem presents these issues in an accessible and eloquent style, using clear and impactful languages that calls for reform and return to religious values and the tolerant ethics of Islam, which refine souls and revive virtues in society. The poem also highlights the poet`s zeal for his community and his true faith. It is a historical and religious work of art that has enriched the literary and religious heritage of the Kanem-Borno region in particular and Nigerian and African Arabic literature in general.

Keywords: *Social Criticism, Sheikh Abdussalam Albarnawi, Borno Arabic Literature, Didactic poetry*

المستخلص:

أرجوزة ذكر ما فشا وشاع وظهر من أحوال أهل هذا العصر تناولت نقدا اجتماعيا لمجموعة من الظواهر والعادات السيئة السائدة في المجتمع كالانشغال بالمحرمات والتفاخر بالمال والنسب والجدل العقيم في أمور الدين وفساد العلماء والقادة في المجتمع وعدم احترام الأولياء. أورد ذلك في أسلوب فني سهل بلغة فصيحة واضحة مؤثرة يدعو إلى الإصلاح والعودة إلى القيم الدينية والأخلاق الإسلامية السمحة التي تهذب النفوس وتحي الفضيلة في المجتمع. وأبرزت الأرجوزة غيرة الشاعر لمجتمعه ودينه الحنيف. فكانت قطعة فنية تاريخية ودينية ساهمت في ثروة المكتبة الأدبية والدينية لمنطقة كانم برنو خاصة والأدب العربي النيجيري والإفريقي عامة.

الكلمات المفتاحية: النقد الاجتماعي، الأدب العربي البرناوي، الشيخ عبد السلام البرناوي، الأرجوزة، الشعر التعليمي

المقدمة:

إن الفساد في المجتمع آفة عمت، وإن لم يتم وقفه سينتشر في الارجاء، وتعم تأثيراته جميع جوانب الحياة في المجتمع، وتضعف القيم والمبادىء الحسنة والروابط الإجتماعية من كافة الجوانب. وأن الفساد الإجتماعي يؤدي إلى إنتشار العادات السيئة والجرائم ويخلق بيئة غير آمنة. ولمنع حدوث ما سبق، إتخذ الشعراء والعلماء الأدب وسيلة لإصلاح المجتمع،

مستخدما التعبيرات الفنية والرموز الأدبية، مستندا على تجاربهم الشخصي في عصرهم، لإحداث تغييرات ورفع وعي إجتماعي حول العادات السيئة في مجتمعهم. وأحيانا قد يكون الإنتاج لتسجيل الواقع فقط. والإنتاج الأدبي وسيلة تعبيرية غنية تحمل في طياتها مشاعر وأفكار متعددة التي تعكس الواقع الإجتماعي والسياسي للبيئة التي يعيش فيها الشاعر أو الأديب. وفي هذه الأرجوزة لم يقتصر الشيخ عبد السلام على تقديم إدانة للظواهر السلبية، بل تجاوز إلى إلتماس حلول ووعي شعبي يحرك الساكن، ويسعى نحو إصلاح المجتمع عن طريق إيصال الأفكار وتحريك المشاعر، حول الواقع الذي عاشه، وتجاربه في مجتمعه بطرق عميقه ومؤثرة، مستخدما الأدب كأسلوب للتعبير عن النقد الإجتماعي. وأن دراسة الكتاب على ضوء النقد الإجتماعي، خطوة مهمة لفهم سياق الذي ينتج فيه الشيخ إنتاجاته. إذ يبرز فيها قضايا مجتمعه، ويشكل وعي ومفهوم مجتمعي لما تعانيه من القضايا لتحديد مسارات جديدة تضمن مستقبلا صالحا للمجتمع.

نبذة عن المؤلف:

هو الشيخ عبد السلام بن الحسين بن حمدون بن مينه محمد المعروف بلنتمه (Luntimah)ينتهي نسبه إلى قبيلة الحمير اليمنية. ولد بمدينة مرتي(Marte) وهي حكومة محلية الآن في ولاية برنو سنة 1317هـ/1906م، وتعلّم على يد أبيه وجهابذة من علماء بلدته منذ الصغر. وحينما انتقل إلى مدينة يرو (Yerwa) أخذ العلم عند عدد من علمائها منهم الشيخ شطيمه أحمد المختار، والشيخ شطيمه محمد إسماعيل، والحاج بابا الذي قدم من الحجاز. وقد اشتهر الشيخ بالعلم والمعرفة وقوة الذاكرة في ديار برنو وخارجها وتوافد عليه طلاب العلم من جميع الأقطار يأخذون العلم عنه[1].

وفاته:

انتقل الشيخ إلى رحمة ربه في شهر ربيع الأول ثلاثة عشر يوماً خلون من عام اثنى عشر وأربعمائة وألف هجرية 1412هـ الموافق واحدة وعشرين يوماً من شهر سبتمبر عام 1991م. وخلف خمساً من الأنباء ثلاثة بنات وابنين وعدد غفير من الأحفاد[2]. وقد رثاه الأخ الدكتور عبد الله غوني تجاني المرحوم بقصيدة مطلعها:

أيا يروا اجعلي عينيك مزناً ** ووبلاً فامطري دمعاً علينا
فقدنا شيخنا عبد السلام ** فسلم يا سلام على أبينا
ويا مرتي ومسقط رأس شيخي ** فقومي واندبي وأسقي الجفونا
ويا ميدغري حي على البكاء ** ولو كان البكاء يزيد حزناً[3]

ويقول:

توفي شيخنا عبد السلام ** أصيل السبت يومئذ حزنا
وقد بدأ الوضوء لدى الغرب ** خلال وضوئه عنا استبان
وأعلن نعيه فينا ونحن ** لذكرى المولد النبوي اجتمعنا
غداة الأحد واريناه فاعلم ** وبذاك اليوم فارقنا أبونا[4]

آثاره العلمية:

ألف الشيخ عبد السلام المرتوي البرناوي عدداً من الكتب أجهد فيها نفسه وبذل في سبيل إخراجها الغالي والنفيس من قصارى جهده، فانتفعت به الأمة وارتفعت بها المنازل واستفاد الناس منها في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي. فمن مؤلفاته التي أخلدت له الذكر طوال الدهر ما يلي:

1- آداب المسجد – منظوم مخطوط
2- عطية المنان – منظوم مخطوط
3- دامغة الأعداء – منظوم مخطوط

4- مدينة القضاة – منظوم مخطوط
5- منسأة العميان – منظم مخطوط
6- هدية الأحباب – منظوم مخطوط
7- جهد المقل – منظوم مخطوط
8- التوسل – منظوم مخطوط
9- العصرية – منظوم مخطوط
10- السهم المسود – منثور مخطوط[5]

كلها مخطوطات لم تحقق ولكن قد تم طبعها محلياً وتصوير بعضها ليستفيد منها طلاب العلم.

مفهوم النقد الاجتماعي:

النقد الاجتماعي في الأدب العربي هو نقد قائم على رصد مشكلات المجتمع بأسلوب أدبي يتضمن فكرة إصلاحية يدعو إلى الإصلاح وتقويم سلوك أفراد المجتمع مع إبراز المسؤولية الأخلاقية للأديب تجاه مجتمعه[6]. ومن معايير هذا النوع من النقد تشخيص مشكلة المجتمع المعين بدقة مع إبراز الأديب موقفه النقدي بكل وضوح عن طريق استخدام الأسلوب الأدبي الإقناعي في شكل الإنتاج ومضمونه. وعلى الأديب أن يقترح البعد الإصلاحي البديل للذي تم نقده وأن يصور الواقع الاجتماعي الذي أورده في نصه مع الموضوعية النسبية بمراعات السياق الثقافي حتى يصبح النقد نقدا تقويميا من أديب ملتزم بقضايا مجتمعه يهدف نحو الإصلاح في المجتمع عن طريق الأدب.

عرض وتحليل للأرجوزة

التعريف بالأرجوزة:

الأرجوزة هي من محتوى كتاب "ذكر ما فشا وشاع وظهر من أحوال أهل هذا العصر". وهو كتاب منظوم يحتوي على نحو مائة واثنين وتسعين نظما (192). وهو مقسم إلى عدة أجزاء. الجزء الأول ذكر فيه أحوال أهل العصر التي يرى أنها تحالف التقاليد والعرف السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الناظم. ويحتوي هذا الجزء على نحو مائة وخمسة وأربعين (145) نظما. والجزء الثاني من الكتاب يحتوي على ذكر أشراط الساعة. أوضح ذلك في نحو تسعة وعشرين (29) نظما. والجزء الثالث تضرع فيه الشيخ إلى الله سبحانه وتعالى يسأله المغفرة والتجاوز عما يرتكبه الناس من الفساد في المجتمع. ويحتوي هذا الجزء على نحو تسعة عشر (19) نظما.

وتتناول هذه الدراسة الجزء الذي يتناول النقد الاجتماعي فقط. ذلك الطرف الذي ذكر فيه العرف والتقاليد المنبوذة التي يمارسها الناس في المجتمع ويدعو إلى إصلاحها.

المناسبة التي نظم فيها الأرجوزة:

نظم الشيخ هذه الأرجوزة لما رأى أن الفساد قد كثر في المجتمع الذي يعيش فيه، وأن الناس قد تحلو بأخلاق السوء في أمور الدين والمعاملات وشؤون الرئاسة حتى أن العلماء لم ينجو منها رغم أن المتوقع منهم هو النهي عن المنكر والأمر بالمعروف. ويرى الشيخ أن الفساد لابد من مكافحته لذا تعمد إلى إنتاج النظم كوسيلة للدعوة إلى نبذ العادات السيئة وخلق مجتمع يتمتع بنزاهة دينية وخلقية.

أهم موضوعات الأرجوزة:

من أبرز الموضوعات التي تناولها الشيخ في أرجوزته ما يلي: -

1. التنابز بالألقاب وإباحة المحرمات وتولي مهام القضاء في المجتمع.

يقول الشيخ بعد الثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر المقصود من الإنتاج إذ يقول:

حمدت ربي حمد من قد اغترف ** من بحر فضله وجوده اعترف
ثم الصلاتان على النبي ** محمد ذي الخلق الرضي[7]

إلى أن قال:

وبعد خذ قصيدة قد ذكرت ** أحوال أهل العصر فيها استمرت[8]

التنابز بالألقاب:

إن التنابز بالألقاب سلوك اجتماعي منبوذ وظاهرة سلبية تؤدي إلى النزاعات والصراعات وانعدام الثقة بين أفراد المجتمع مع ترك أثر سلبي لدى أفراد المجتمع، لأنه يؤدي إلى التقليل من قيمة الأخرين ويؤرث الاكتئاب والقلق بين أفراد المجتمع. يقول:

تنابزوا ألقابهم واتسموا ** سماتهم واشتهروا واتهموا[9]

إباحة المحرمات:

إباحة الحرام في المجتمع يساهم إلى فقدان الشعور بالمسؤولية تجاه السلوك وتفشي الفساد بين الرعاة والرعية في المجتمع مما يتطلب إلى جهود جبارة من علماء الدين في المجتمع لمقاومتها وأن الحكم بغير ما أنزل الله كفر وظلم وفسق اقتباسا من قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)[10] وفي آية أخرى: (هم الظالمون)[11] ، وفي الأخرى: (هم الفاسقون)[12] يقول:

وحللوا ما حرم الرحمن ** وحرفوا ما حكم الديان[13]

تولي مهام القضاء:

ولاية القضاء إلى غير أهله يؤدي إلى قرار غير عادلة ومنحازة وتؤثر الرشاوي على الحكم وتأخير الحكم قد يؤدي إلى الإضرار بالأطراف المعنية وعدم الكفاءة يؤثر على جودة الأحكام وفعاليتها وتؤدي إلى انقسامات في المجتمع وعدم الثقة بالنظام القضائي في المجتمع يقول:

من ولى الحكم كأنه ذبح ** بغير مدية وذا قد اتضح
هذا إذا حكم باستعداد ** وطلب الصواب باجتهاد

ويقول:

لخوف فتنة القضاء هربوا ** وتركوا الأوطان قوم طلبوا[14]

فساد العلماء والأئمة:

إذا أصبحوا قدوة سيئة في المجتمع، يخرفون الحقائق بمعلومات مضللة فيساعدون على تبني الأخلاق السيئة في المجتمع ويصبح الفساد محمودا. ويؤدي هذا إلى انتشار الجهل والأفكار الخاطئة يعتمد عليها الناس في أمور دينهم ودنياهم.

ومما لاحظه الشيخ من أمور فساد العلماء في عصره، تفسير القرآن بالرأي وطعن علوم السلف، والعمل بما منع شرعا في الكتاب والسنة. يقول:

وفسروا القرآن بالآراء ** وتركوا النصوص كالذكاء
وطعنوا علوم من قد سلفا ** بل ما أصح علمهم لمن صفا
ولا تصدقنهم بما أتوا ** من التقول برأيهم حكوا[15]

مناقشة العامة قضية الاستواء على العرش:

يرى الشيخ أنه من الأهمية فهم هذه القضية في إطار من الإحترام والحوار الإسلامي دون أن تؤدي إلى إنقسام صف المسلمين عامة. ويعتبر نص الإستواء على العرش من أمور الدين المستلم الذي يجب الإيمان به كما هو مع تجنب التكييف أو تشبيه استواء الله بمخلوقاته. فالمعتزلة مثلا ينفون الصفات الذاتية في قضية الإستواء والأشاعرة يؤكدونها مع نفي معرفة كيفية الإستواء. يقول:

وحجة الإله قال إذ سئل ** في الاستواء الكيف عنه قد جهل
وواجب إيمانه على الورى ** وسائل مبتدع او كفر
فلتقرؤا كما نزل بلا التما ** س تأويل ونزهوا رب السماء
هذا الذي مذهب صالح السلف ** قد يجب اتباع كل من خلف[16]

إنكار الأولياء في المجتمع:

يقول الشيخ أن إنكار أولياء الله يؤدي إلى فساد أخلاقية في المجتمع والأفراد ويؤدي إلى غياب القيم الروحية والدينية من حياة الناس ويقلل من تأثير الدين في المجتمع والجفاء تجاه الدين. ويبقى المجتمع بلا قدوة حسنة إذ غالبا الناس يستندون على شفاعة أولياء الله ودعائهم كوسيلة لنيل مرادهم عند الله تعالى. يقول:

وزعموا فقد وجود الأولياء ** المقتفين اثر نبي الأنبيا[17]

كراهة الشيب:

يذكر الشيخ أن الناس في عصره صاروا يكرهون الشيب ويرونه رمز للضعف والتقدم في العمر ويؤدي هذا إلى تدني الثقة بالنفس بسبب المظهر. توعية المجتمع بأهمية تقدير كبار السن وتجاربهم وتعزيز ثقافة الاحترام بين الأجيال مهم. يقول الشيخ:

وكرهوا من كان قد يشيب ** والشيب نور مسلم ينيب[18]

عدم حفظ السروالانشغال بعيوب الناس:

يقول الشيخ لقد فقد المجتمع ثقافة حفظ الس واحترام خصوصيات الأخرين ونشر القيم الإسلامية الإيجابية في المجتمع. وأن فقدان الثقة بين أفراد المجتمع يؤدي إلى فساد العلاقات وانتشار الشائعات وتنمي ثقافة النقد السلبي وخلق النزاعات وتدمير العلاقة الشخصية والابتعاد عن القيم الدينية.

يقول الشيخ:

عداوة تعصب قد كثرا ** وفتنة تشاجر قد ظهرا
وحفظ أسرار الرجال عدما ** وذلك بلوى تعم أمما
واشتغلوا بذكر عيب الناس ** عن عيبهم بدون الإلتباس[19]

التفاخر بالمال وحب اللهو:

يقول الشيخ أن التفاخر بالمال وحب اللهو مضر للمجتمع. ويؤدي إلى فقدان القيم الأخلاقية ويزيد التنافس السلبي كإعتبار المال من معايير النجاح في الحياة. ويؤدي إلى فقدان التعاطف ومعاونة الفقراء وتفكك الروابط الأسرية وصلة الرحم. لذا لابد من تقدير الأشياء التي تتجاوز المال والمظاهر يقول:

وملكوا نفائس الأموال ** مالم يكن من قبل عندوال
وسود الروبيض والشرار ** أي من يكون تافها صغار
تزاحموا على التي تلهي تضر ** كالسينمات فاجتنبها ولتفر[20]

التفاخر بالنسب والأصل:

يقول الشيخ هو نوع من تعزيز الفوارق الطبقية في المجتمع التي تقوم على النسب العائلي. وتؤدي إلى تجاهل القيم الأساسية كالكفاءة والأخلاق وفقد روح المساواة والتأثير السلبي على العلاقات الاجتماعية. وتفقد المجتمع الاحترام المتبادل بين الأفراد. يقول الشيخ التفاخر بالأصل والجاه لا جدوى لها إن لم تكن مقرونة بالدين.

تفاخروا بكثرة الأموال ** وزخرف البيت فلا أبالي
والأصل إما أن يكون عابدا ** أو أن يكون كافرا معاندا
لا فخر بالجدود والآباء ** والفخر بالتقى وباقتداء[21]

مجموعة من العادات السيئة السائدة في المجتمع:

يذكر الشيخ عددا من العادات السيئة السائدة في المجتمع والتي لها أثر سلبي في افراد المجتمع. من تلك العادات التدخين وتعاطي المخدرات وقطع الأرحام لسبب السياسة وبناء الفنادق للهو وحلق اللحية وإنكار الحجاب مع وجوبها. يقول:

وقطعوا الأرحام للسياسة ** ووصلوا الخناس والخناسه
وحلقوا اللحية أيضا قصروا ** شعر رؤسهم بذلك كفروا
وانكروا بئاية الحجاب ** مع وجوبها بلا ارتياب[22]

حب تقاضي الدين ولهو الحديث:

يقول الشيخ من التقاليد السيئة في المجتمع أخذ الدين دون سبب. فتقاضي الدين في المجتمع يؤدي إلى ضعف القيم الأخلاقية للانحراف وراء اللهو والحديث الفارغ والبعد عن القيم الدينية. وأنه يؤثر سلبيا على العلاقات الاجتماعية ويفقد المجتمع الموازنة الاجتماعية. يقول:

وجعلوا الديون كالعطاء ** والدين هم الليل مع عناء
وفي النهار وهو ذل قد عرف ** وذان يحصلان للذي اقترف[23]

تفضيل لغة أخرى على اللغة العربية والمدارس الحديثة على الحلقات العلمية:

يقول الشيخ أن تفضيل اللغات الأخرى على اللغة العربية يؤدي إلى ضعف التراث الإسلامي في المجتمع والتأثير السلبي على التعليم الديني وفيه خطر تهميش اللغة العربية. إضافة إلى ذلك فيه خطر فقدان التراث العلمي المحلي وفقدان سبل التعليم التقليدية في المجتمع وعدم التوازن في فرص التعليم بين طلاب العلم. يقول:

قد اكتفوا بلغة عجمية ** كفرية عن لغة عربية
نبوية فاضلة مرضية ** فصيحة مبنية مروية
وندروا وثيقة عربية ** واوسعوا مكتوبة عجمية
ملعونة كفرية خبيثة ** منسوخة مذمومة حثيثة[24]

الإيمان بالطب الحديث دون الرقية الدينية:

يقول الشيخ أن ألإبتعاد عن الرقية الشرعية فيه ضرر للمجتمع وأفراده. فهو يؤدي إلى ضعف الإيمان والإبتعاد عن العلاج الروحي وله تأثيرات نفسية هائلة وأن الإعتماد الكلي على الطب الحديث يفقد التوازن في علاج الأمراض. ويرى أن لزوم بيوت الأطباء المحدثين طلبا للدواء يؤدي إلى تهميش الرقية الدينية في المجتمع. يقول:

واشتغلوا استعمال ما قد جلبا ** بصحة الأبدان والعرق خبا
ولازموا بيوتا للدكتور ** لطلب الدوا بلا فتور
قد اكتفوا برقية الدكتور ** عن رقبة بآية المسطور[25]

قضية النزول فوق القمرومحدثات العصر:

تختلف الآراء حول النزول على سطح القمر حسب السياق الثقافي والاجتماعي لكل مجتمع وتدعوا إلى جدل حول مكانة الإنسان في الكون وتفسير النصوص المتعلقة بالخالق والكون. فيرى الشيخ أن من إدعى النزول على سطح القمر كمن إدعى معاشرة حور العين يقظة. يقول هؤلاء من عساكر الدجال ظهروا للفساد في الأرض:

من ادعى الصعود للسماء ** فكفرنه بلا ارتياب
كمدعي ملاعب الحوراء ** يقظة حسا بالامتراء
دجاجل عساكر الدجال ** قد ظهروا في الأرض بالخبال[26]

ما أحدثه الناس من المنكرات:

يخصص بالذكر في هذا الطرف من أرجوزته تلك الأشياء التي يراها من المنكرات تحدث في مجتمعه دون نهي أو إنكار من أفراد المجتمع. منها عدم احترام الأولياء والعلماء، وتصديق ما صدر من النصارى كنسب كوكب إلى روسيا، وتصديق قول علماء الفلاسفة، وكثرة مساجد الجمعة في منطقة واحدة، وتطويل البناء، وتعاطي المخدرات، واختلاط النساء بالرجال، وظهور الحقد، والحسد، والتباغض، وحب الدنيا واللهو، وأخذ مال المسلمين بغير حق، وأحدثوا في الدين ما لم يكن فيه مسبقا وغيرها من العادات السيئة في المجتمع.

يقول الشيخ:

وسب الأولياء الكرام الكمل ** والعلماء العاملين الفضل
وقول بعض المسلمين ها فذا ** كويكب لروسيا فلينبذا
وما أتى عن علماء فلسفه ** فصدقوه بينا كجغرفه
مساجد الجمعة ايضا كثروا ** في حارة واحد وشهروا
وأظهروا الدخان والخمور ** والرقص بالنسوة والشرورا
تحاقدوا تحاسدوا تعارضوا ** تشاجروا تخالفوا تباغضوا[27]

المقطع الختامي للأرجوزة:

يذكر الشيخ أن الدافع في تأليف هذه الأرجوزة هو إصلاح ما ظهر من الفساد في المجتمع الذي يعيش فيه لصيانة كرامة أفرادها وضمان مستقبل الناشئين فيها حتى تصلح المجتمع على أسس الدين ألإسلامي المستقيم. يقول:

لخوف فتنة كسرت مغزلي ** من لي بتصحيح وتسديدي
ألفتها تذكرة لنفسيا ** وللذي إذا رءاها رضيا
وإنما يصلح للإفادة ** ذو أدب ترجى له السياده[28]

التعليق على الأرجوزة:

تتناول الأرجوزة قضايا اجتماعية تمس واقع المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر إذ عرض الشاعر فيها صورا من الفساد الذي أدى إلى تدهور القيم الدينية في المجتمع وأوجه نقده بأسلوب إصلاحي بناء يدعو إلى التوعية والالتزام بتعاليم الدين. يقول:

وبعد خذ قصيدة قد ذكرت ** أحوال أهل العصر فيها استمرت[29]

وقد صور الشاعر في الأرجوزة فساد القيم وانحراف السلوك لدى العامة والعلماء والقادة في المجتمع إضافة إلى الانشغال باللهو والانغماس في المحرمات وفقد الصدق والأمانة وذكر عيوب الناس والتفاخر بالمال والنسب إضافة إلى الجدل في مسائل العقيدة كالاستواء على العرش وغيرها في صورة. يقول:

من ولى الحكم كأنه ذبح ** بغير مدية وذا قد اتضح[30]

أما أفكار الأرجوزة ومعانيها كانت إصلاحية اجتماعية قائمة على نقد الواقع الذي يعيشه الشاعر وهو الخلل في الأخلاق داعيا إلى العودة إلى القيم الدينية السمحة. ويحذر من فساد العلماء والجدل العقيم في الدين والانشغال بعيوب الناس والتفاخر بالمال والنسب وحب اللهو. ويدعوا إلى الإصلاح والتوبة وكلها أفكار دينية. يقول:

إذا أميتت سنتي فانتظروا ** بلاءكم هذا الذي قد ذكروا[31]

وفي الأسلوب واللغة استخدم الشاعر ألفاظا سهلة بسيطة قريبة من نيل أفراد المجتمع وواضحة تمشيا مع بحر الرجز الذي وظفه في إنتاجه. وأحسن استخدام الجناس والمقابلة في توضيح التناقض بين الرذيلة والفضيلة وبين ما يجب أن يكون وما هو كائن على نهج يناسب روح النقد والتحكم. يقول:

إذ كل من صدق كاذبا نمي ** للكذب الذي به ذاك رمي[32]

وفي الصور الفنية استخدم الشاعر صورا رمزية وتشبيهات تستمد عناصرها من الحياة التي يعيشها ومن التعاليم الدينية التي يستمد منها ألفاظه ونزعته الدينية. فكانت الأرجوزة تتسم بطابع ديني واقعي يشعر به الناس كما أنها لم تفقد لمساتها الفنية التي منحتها متعة أدبية فنية. يقول:

وسؤدد الروبيض والأشرار ** أي من يكون تافها صغارا
ومن له السؤدد بالبيضاء ** فعادم السؤدد والصفراء
وإنما السؤدد بالتقى وإن ** كان عبيدا فاسمعنه واستبى[33]

وعاطفة الشاعر في أرجوزته عاطفة دينية تبرز الغيرة الدينية والحزن على ما أصاب المجتمع من الانحراف في الدين والأخلاق ويبوح بأسفه لما وصل إليه الناس مع الدعوة إلى الإصلاح والأمل في الاستقامة. يقول:

مصيبة قد عمت الأراضي ** والوعر والسهل بلااعتراض
وتركوا أدلة الأوقات ** مروية عن سيد الفئات
إذ جاء في الحديث من تزينا ** بزينة القوم إليهم ركنا[34]

والقيمة الفنية للأرجوزة تبرز في كونها نموذجا للأدب الإصلاحي في الأدب العربي البرناوي. وأنه إنتاج ملتزم بقضايا المجتمع الذي جمع بين الفن والرسالة وتبرز وعي الشاعر بقضايا مجتمعه وقدرته على تشخيص الداء ووصف الدواء عن طريق استخدام بحر الرجز الذي يتميز بسهولة الإيقاع وسريع التأثير في إيصال الفكرة إلى العامة ويفي بغرض الشاعر في الإصلاح بالكلمة الصادقة والنقد البناء.

الخاتمة:

تعد هذه الأرجوزة نموذجا بارزا للأدب العربي الإصلاحي الذي يجمع بين الفن والرسالة. وقد تناول الشاعر في أرجوزته عددا من الظواهر الاجتماعية والسلوكية المنحرفة التي ظهرت وشاعت في مجتمعه. ويسعى نحو إيقاظ الهمم والوعي الديني والأخلاقي عن طريق الدعوة إلى مراجعة الذات وإصلاح الأخلاق تمشيا مع تعاليم الدين مستخدما أسلوب النقد الذي جمع بين التحذير والتوجيه. واستعان ببحر الرجز الذي يتسم بالسهولة والبساطة في إيصال أفكاره مباشرة إلى أفراد المجتمع. ومع أن عاطفة الشاعر دينية إصلاحية كما تبينت في ألفاظ الأرجوزة ومعانيها، فإن مضمون الأرجوزة تؤكد عن مدى تمكن الشاعر في قدرته التصويرية لأحوال المجتمع في إنتاج نقد إصلاحي وتوجيهي تبرز أن الأدب ليس للمتعة الفنية فقط بل تكون وسيلة لتغيير أحوال أفراد المجتمع وإصلاحها أيضا. وقد أدت الأرجوزة هذا الدور نعم الأداء.

المصادروالمراجع والهوامش

1. مقابلة شخصية مع نجله الأكبر، محمد المجتبى عبد السلام، بداره وذلك بتاريخ 3 إبريل، 2025م
2. المرجع نفسه
3. تجاني، عبد الله غوني: **قصيدة في رثاء الشيخ عبد السلام المرتوي البرناوي**، مخطوط ص: 1
4. المرجغ نفسه ص: 3
5. يمكن العثور عليها بمكتبته الخاص، في حارة آدم كولو، بمدينة ميدغري
6. غنيمي، محمد هلال: **النقد الأدبي الحديث**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السابعة، 2005م
7. البرناوي، مرجع سابق
8. المرجع نفسه
9. المرجع نفسه
10. سورة المائدة: 44
11. سورة المائدة 45
12. سورة المائدة: 47
13. البرناوي، المرجع السابق
14. المرجع نفسه
15. المرجع نفسه
16. المرجع نفسه
17. المرجع نفسه
18. المرجع نفسه
19. المرجع نفسه
20. المرجع نفسه
21. المرجع نفسه
22. المرجع نفسه
23. المرجع نفسه
24. المرجع نفسه
25. المرجع نفسه
26. المرجع نفسه
27. المرجع نفسه
28. المرجع نفسه
29. المرجع نفسه
30. المرجع نفسه
31. المرجع نفسه
32. المرجع نفسه
33. المرجع نفسه
34. المرجع نفسه